

الطبقة السياسية في تونس لا شيء يدفعها إلى التنازل

البراهمي الشخصية السياسية التي تم اغتيالها في يوليو 2013 واستظهاره بوثيقة تاريخية عن صلاحيات الرئيس خلال دستور 1959.

وللاشارة، فإن أغلب الوجوه السياسية تعاطت مع المعركة الصحية ضمن أجدانها السياسية وليس فقط رئيس الجمهورية أو رئيس البرلمان. وهناك اتفاق على أن من أسباب انتشار الفيروس في الأسابيع الأخيرة بمناطق داخلية هو التحريض السياسي على كسر قرارات حكومية بوقف أنشطة ذات بعد اقتصادي (الأسواق الأسبوعية)، أو تحديد أنشطة أخرى بوقت مبكر للحظر خاصة المقاهي والمطاعم، وهو ما لاقى هوى لدى شارع مستهين بطبعة بقرارات اللجنة العلمية / الصحية ونداءاتها.

كان صوت اللجنة التي تدير المعركة ثانويا وتقريرها لا تأخذ الحكومة في اعتبارها إلا بمنطق تبرئة الذمة أو وثيقة للمجادلة مع الخصوم السياسيين.

إن التعاطي مع الأزمة الصحية كقضية هامشية دفع اللجنة العلمية إلى التلويح بالاستقالة أكثر من مرة، خاصة أنه كان يفترض أن تكون المؤسسات السبادية في طليعة المعركة الإعلامية والشعبية التي تدفع الناس للالتزام بالإجراءات في حدها الأدنى. كما أن تلك السلبية أعاقت جعل شراء اللقاحات أولوية في خطط الحكومة حيث لم ترصد لها أموال ذات قيمة في الميزانية الجديدة، كما لم يطل التفتيش ميزانية رئاسة الجمهورية أو البرلمان أو الوزارات لأجل التوفير وتخصيص الجهد لشراء اللقاحات كأولوية قصوى.



رغم النداءات التي كانت وجهتها اللجنة العلمية بضرورة الاستعداد للمرحلة الصعبة التي تعيشها البلاد فإن السياسيين بمختلف رتبهم وأحزابهم لم يكونوا يولون المسألة الصحية أي اهتمام عدا توظيفها في المعركة مع الخصوم

ومن البداية لم تبادر تونس إلى التنسيق لشراء الكميات التي تحتاجها من الشركات المنتجة كما فعلت دول أخرى بينما دول قريبة مثل المغرب، ولكن ظلت تراهن على حصولها على اللقاحات ضمن الهبات التي توفرها منظومة إيفاكس أو منظمات دولية وإقليمية أخرى أو في شكل دعم من "أصدقاء" خاصة من أوروبا والولايات المتحدة.

وليس معركة الوباء على أهميتها وإلحاحية التحرك الرسمي فيها هي الظرف الوحيد الذي تدبر له السلطات لها بمختلف "شروعاتها"، فهناك ملفات معلقة تحتاج إلى تنازلات سريعة من الرؤساء الثلاثة لتقود إلى تهدئة سياسية تسمح بالبت فيها، وخاصة العلاقة مع صندوق النقد الدولي والجهات المانحة التي تطالب بموقف رسمي ملائم لمختلف القوى المؤثرة سياسيا واجتماعيا بشأن الإصلاحات الاقتصادية قبل منح قسط مهم من القرض المخصص لتونس.

لا تهدئة سياسية، ولا هدنة اجتماعية، ولا مؤتمر للحوار الوطني يقود للاتفاق على هذه القضايا، وكل مسؤول يتابع وينظر ولا أحد يأخذ المبادرة، وهو وضع قد يقود خلال أشهر قليلة إلى العجز الحكومي عن تمويل شرائات ضرورية تخص المواد الأساسية، أو العجز عن توفير الرواتب لمئات الآلاف من الموظفين الحكوميين.

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

عادت الأزمة الصحية بقوة وسط انبعاث عن ارتفاع تصاعدي لأعداد الضحايا والمصابين، لكن لا أحد يتصدى لها سوى لجنة علمية مقيدة الأيدي بالمحاذير والخطوط الحمراء التي فرضتها حكومة واقعة بدورها تحت ظل الحسابات والضغوط. من أشهر دعت اللجنة إلى حجر شامل لنصف شهر من أجل تطويق انتشار الوباء، لكن الحكومة تتلصق يوما عن آخر، فهي تراعي، قبل أعداد الضحايا وقبل سحق الناس، مواقف السياسيين وكبار رجال الأعمال. لم ينس رئيس الحكومة هشام المشيشي حين أعلن عن إجراءات مشددة في أبريل الماضي أن الرئيس قيس سعيد أنه أمام الجميع بعد أن بحث المحادثة لأنه لم يراع مطالب الناس التي تريد أن تشتغل وقال له فلتقل اللجنة ما تريد، لكن القرار يبقى سياسيا، واضطر المشيشي للترجع بالقول إن ذلك "يطلب من رئيس الجمهورية قيس سعيد".

منذ مارس 2020 كانت معركة كوفيد - 19 تدار وفق آليات الأزمة السياسية، وبعد توافق مؤقت نجحت تونس في الخروج بأخف الأضرار من الموجة الأولى خاصة مع حملة تبرعات كبيرة من المواطنين للمساعدة في شراء الأجهزة الخاصة بالتنفس والأسرة بتهديدات لا يلبق ذكرها.

أي احتواء وإطفاء حرائق، وأي حرب أهلية؛ التوصيف الحقيقي للصراع هو أن هناك طرفين رئيسيين: الأول الشعب المظلوم المقموع المنهوبة أمواله وشبابه الثائر، والثاني أقطاب النظام السياسي الذي وصفه الكاظمي في حديثه الأخير بأنه عهد الفساد والفسوق والإسماء خلف تلك العناوين، والأحزاب ومليشيات القتل والترويع.

التفسير الوحيد هو أن الكاظمي عقد هدنة تراض بينه وبين المليشيات بإطلاق يدها في مشروع هيمنتها على الحياة السياسية والأمنية والاقتصادية مقابل تخفيفها من استفزاز الأميركيين عبر استهدافها للسفارة الأميركية والقواعد العسكرية، رغم ذلك هذه المليشيات لم تتوقف عن توجيه ضربات بواسطة طائرات "الدرونز" على أربيل أو بغداد. لأن القرار في هذا الملف بيد أولياء الأمور في طهران، وعلى الكاظمي بحته مع مراكز القرار هناك.

مشكلة المليشيات تكمن في تطورها العسكري من خلال الاستخدام الواسع لطائرات "الدرونز" التي تلقى الدوائر العسكرية والاستخباراتية الأميركية وتضع الدوائر السياسية أمام خيار مواصلة وتكثيف الجهود لتفكيك المليشيات الإيرانية في العراق حماية لمصالحها حتى وإن أصبح الخيار السياسي لإدارة بايدن تعزيز نفوذ طهران في العراق، وقد يحصل ذلك في صفقة انزاع هيمنة المليشيات في العراق على هامش محادثات طهران وواشنطن في فيينا.

إذا كان الكاظمي صادقا مع نفسه وصريحا مع شعب العراق، وأنا لا أشك في ذلك، عليه خلال الشهور الثلاثة المتبقية من حكمه في حال لم تؤجل الانتخابات إلى الموعد الاعتيادي عام 2022، أن يتخلل عن خطابه الثوري في نقده للنظام السياسي ومفردات التعاطف الفردي مع ذوي الشهداء، ويستمر في خطاب لتعمل للمليشيات لعل مكتب الولي الفقيه في طهران يُقدم خلاصة إيجابية للمرشد الأعلى على خامنئي يبيح له من خلالها التجديد لولايته بعد الانتخابات المقبلة.



المليشيات في العراق خيار الضعفاء

الكاظمي لم ينتظر أكثر من أربع وعشرين ساعة لينقلب النظام وللمليشيات التي شكلت حسب تعبيره دولة موازية للدولة العراقية فيندفع في تمجيدها بخطابه خلال الاستعراض العسكري

حديث الكاظمي عن دور خارج حدود العراق للمليشيات يتناقض مع دعواته بين فترة وأخرى بأنه يسعى للانفتاح على العرب، حيث حاول تأكيد ذلك في لقائه بالرئيس المصري والملك الأردني الأحد ببغداد لتفعيل ما سماه مشروع "النظام الجديد" كمحور اقتصادي ومبادرة مفيدة لكسر عزلة العراق

وإحتطافه من قبل إيران لكن لن يكتب لها النجاح لأسباب كثيرة أهمها عدم سماح الأحزاب بخطوات عملية تخفف من هيمنة طهران على هذا البلد.

التفسير الأكثر دقة لما بدا تناقضا في رسائل الكاظمي عبر حديثه التلفزيوني الوطني جداً وخطابه الداعم للمليشيات باستعراضها العسكري، هو أنه لم يكن هناك تناقض جوهري في مواقفه تجاه المليشيات من خلال محاور عدة من بينها:

أولاً، منذ مجيء الكاظمي للسلطة في مايو 2020 عبر ضغط شباب ثورة أكتوبر على خلفية مطالباتهم بكشف قتل أكثر من 700 شهيد وجرح عشرات الألاف، لم يتخذ خطوة جريئة لكشف قوائم المتورطين رغم وعوده التي لا تتجاوز التطمينات والمواساة الإنسانية، وحداثة القائد الميليشياوي قاسم مسلح دليل على ذلك.

ثانياً، رغم تصريحاته الناقدة لتوجيه الصواريخ التي يسميها "العبيثة" ضد السفارة الأميركية ومراكز القوات الأميركية في القواعد العسكرية، وتوصيفاته المبالغ فيها لكنها لا تترجم ما يقال عنه بأنه صديق للأميركان. فلم يقدم للجهات الأميركية رغم إلحاحها معلومات موثقة حول تلك الهجمات التي تحرق بشكل فاضح العلاقات الدبلوماسية بين الدول، رغم دعم واشنطن للامحدود له.

رابعاً، لا تفسير منطقياً وواقعياً ووطنياً يبيح سكوت رئيس وزراء العراق عن ولاء مليشيات مسلحة لدولة أجنبية حتى وإن كانت صديقة، في تغليب العقيدة على الدولة، وهذا ما وقع في شركته الكاظمي رغم استقلاله الحزبي عن الأحزاب الإسلامية الشيعية.

خامساً، هناك شكوك بشأن تعهدات الكاظمي منع من يسميهم الجماعات غير المنضبطة بترويع الناخبين، لأن حوادث الأيام الأخيرة شهدت عمليات ترويع لبعض المرشحين غير المنتظمين أو الموالين للأحزاب والمليشيات أجبرتهم على التراجع عن الترشيح. والأيام القريبة ستثبت صحة تعهد الكاظمي بمنع حملة السلاح من ترويع المواطنين. القضية المهمة التي يعتقد الكاظمي أنه نجح فيها ولا يريد الإفصاح

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

خطاب مصطفى الكاظمي رئيس وزراء العراق بالاستعراض العسكري للمليشيات في ديالى السبت أرجأ الفكرة المحورية لكتابتني حول حديثه التلفزيوني المثير قبل يوم واحد من هذا الخطاب، والذي عبّر عن خلاله عما يراه العراقيون بشأن طغيان الفساد، والفوضى على النظام السياسي القائم، وأن برنامجه الحكومي إنهاء ذلك العهد الأسود وفرض ما اصطلح عليه بهيبة الدولة، وأنه غير مكترث بحملة الأحزاب على إسقاط حكومته.

لم ينتظر الكاظمي أكثر من أربع وعشرين ساعة لينقلب كلياً على ذلك النقد الجارح لمؤسسة النظام القائم وللمليشيات التي شكلت حسب تعبيره المظن دولة موازية للدولة العراقية، فيندفع في تمجيدها بخطابه خلال ذلك الاستعراض العسكري الذي نظم ليبدو أكثر تأثيراً من استعراضات الجيش العراقي في مواسم أعياد تأسيسه، حيث عرضت الأسلحة الثقيلة غالبيتها إيرانية الصنع بينها طائرات "الدرونز" التي مسحت صورها من الفيديو الذي تم توزيعه.

لم يكن الكاظمي محتاجاً إلى هذا التمجيد المقتل المتناقض مع خطابه العام، هل هو أسف لما كان يقوله قبل أربع وعشرين ساعة من خطاب الاستعراض العسكري أم أنه لم يجد في ذلك تناقضا وفق آراء الكثير من العراقيين. لا اعتقد أنه نجح في ضبط توقعات تحولت في الخطاب السياسي والإعلامي في التمجيد المقتل للمليشيات الذي أثار استغراب المتصنفين له وأنا من بينهم بأنه محاط "بالكواسج" الذين يعرقلون مشروعه للإصلاح الذي عبّر عنه في حديثه التلفزيوني، فلنا منا ومن جميع الخبيرين أنه بحاجة إلى دعم معنوي وإعلامي لكي يصمد بوجه هجمة الأحزاب الشرسية التي يشكو منها.

كان الأخطر في عبارات التمجيد للمليشيات التي تفسر دعوته خلال حديثه التلفزيوني للاحتواء أنه وجد فيها دوراً مشرقاً يستعيد العراق من خلاله عافيته ومكانته التاريخية في المنطقة. منطلق سياسي خطير يثير قلق ومخاوف عرب المنطقة من الأدوار التخريبية لهذه المليشيات طالما حذرت منه هذه الدول بعد تصاعد هجماتها وقسم منها انطلق من الأراضي العراقية. دوافع القلق لدى أهل العراق أولاً أن دعوة الكاظمي في خطابه هذا تعيد تأكيد مشروعية استمرار المليشيات الولائية التي تستخدم عنوان الحشد كغطاء لسجلها الإجرامي بحق شباب أكتوبر، وتعطي مصداقية للتفسيرات القائلة بأن خيار "الاحتواء" الذي تحدث عنه يعني محاولته ترضية تلك المليشيات لهفوفته في اقتياد أحد قادته للتحقيق وفق المادة "أربعة إرهاب" ثم إطلاق سراحه.

